

شيخ الاسلام شبير احمد العثماني ومنهجه في شرح الحديث في ضوء كتابه فتح الملهم

محمد لطافت الرحمن

ان موضوع مقالتي هذه هو منهج الامام المحدث شيخ الاسلام في باكستان
المغفور له شبير احمد العثماني في ضوء كتابه الجليل الضخم « فتح الملهم
بشرح صحيح مسلم » ولكن ابحت اولا عن صاحب صحيح مسلم وصحيح
مسلم بايجاز ، وبعد ذلك عن فتح الملهم وصاحب فتح الملهم على
الترتيب التالي ان شاء الله تعالى -

(١) صحيح مسلم

(٢) صاحب صحيح مسلم

(٣) فتح الملهم

(٤) صاحب فتح الملهم

أما عن العنوان الأول

اعنى به حال صحيح مسلم بالاختصار فقد قال صاحب فتح الملهم : ان
أول من صنف في الصحيح .هو الامام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل
البخارى الجعفي وتلاه ابو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى القشيري .
جملة ما في صحيح مسلم من الاحاديث .

قال الجزائرى : واما صحيح مسلم فجملة ما فيه باسقاط المكرر نحو
اربعة الآف حديث . قال العراقى وهو يزيد على البخارى بالمكرر لكثرة

طرقه ، قال : ورويت عن ابي الفضل أحمد بن سلمة انه قال انها اثنا عشر الف حديث ، وقال ابو حفص الميانجي انها ثمانية الآف ، وقال بعض الباحثين فى ذلك : ولعل هذا اقرب الى الواقع مما قبله ، ويقول مؤلف هذه المقالة - وانت ترى بعد ما بين عدد اربعمائة ألف حديث وثمانية مائة ألف حديث ، ولكن يزول قلقك فى مثل هذا التناقض فى عدد الاحاديث فى صحيح مسلم بما قاله صاحب فتح الملهم فى هذا الصدد (٢) ومما يرفع استغرابك بما نقل عن ابي زرعة من انه كان يحفظ مائة واربعين الف حديث فى التفسير ، وان كلمة النعيم فى قوله تعالى « ثم لتستلن يومئذ عن النعيم » قد ذكر المفسرون فيه عشرة أقوال كل قول منها يسمى حديثا فى عرف من جعله بالمعنى الاعم ، وان كلمة الماعون فى قوله تعالى « فويل للمصلين الذين هم عن صلواتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون » قد ذكروا فيه ستة اقوال كل واحد منها ماعدا الواحد يعد حديثا كذلك .

قال الامام ولى الله الدهلوى فى بيان طبقات كتب الحديث : فالطبقة الاولى منحصرة بالاستقراء فى ثلاثة كتب . الموطأ وصحيح البخارى وصحيح مسلم ، (٣) وقال الامام مسلم (٤) لم اذكر هنا الا ما اجمعوا عليه وكذا قال فى مقدمة الصحيح : ثم انا ان شاء الله مبتدؤن فى تخريج ما سألت وتاليفه على شريطة سوف اذكرها وهو انا نعمد الى جملة ما أسند من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقسمها على ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار الا ان يأتى موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة معنى او اسناد يقع الى جنب اسناد لعله تكون هناك ، لان المعنى الزائد فى الحديث المحتاج اليه يقوم مقام حديث تام ، فلا بد من اعادة الحديث الذى فيه ما وصفنا من الزيادات او ان نفصل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره ان امكن .

شرح صحيح مسلم

شرح كثير من العلماء الكبار كتاب صحيح مسلم ، ذكر منها صاحب كشف الظنون نحو خمسة عشر شرحا ، من أشهرها المنهاج للحافظ الامام ابى زكريا يحيى ابن شرف النووى الشافعى ، وشرح ابى الفرج عيسى بن مسعود الزواوى ، وهو كبير فى خمس مجلدات جمع عدة شروح سبقته ، واكمال المعلم للامام ابى عبدالله محمد بن خليفه الأبى المالكى فى اربع مجلدات ضمنه شرح المازرى وعياض والقرطبى والنووى مع بعض الزيادات فى ثمانية اجزاء كبار ، وشرح الشيخ على القارى الهروى نزيل مكة المكرمة .

مختصرات صحيح مسلم

من أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لاحمد بن عمر القرطبى ، ومختصر الامام زكى الدين عبدالعظيم المنذرى ، ومختصر زوائد مسلم على البخارى لسراج الدين عمرو بن على ابن الملقن الشافعى ، وهو كبير فى اربع مجلدات ، ولابى بكر احمد بن على الاصفهانى كتاب فى اسماء الرجال التى وردت فى صحيح مسلم .

طبقة صحيح مسلم

قال الشيخ ولى الله الدهلوى (٥) ان كتب الحديث على أربع طبقات ، وقال ان اعلى اقسام الحديث ما ثبت بالتواتر واجمعت الامة على قبوله والعمل به ثم ما استفاض من طرق متعددة لاتبقى معها شبهة يعتد بها ، ثم ما صح وحسن سنده وشهد به علماء الحديث ولم يكن قولاً مستروكاً لم يذهب اليه احد من الائمة ، الى ان قال - فالطبقة الأولى منحصرة بالاستقراء فى ثلثة كتب : المؤطا وصحيح البخارى وصحيح مسلم ، فصحيح مسلم من الطبقة الاولى العالية من كتب الحديث ، ثم قال صاحب فتح الملهم تعليقا عليه فى آخر بحث طبقات كتب الحديث : .. واما الطبقة

الاولى والثانية فعليهما اعتماد المحدثين و حول حماهم مرتعهم ومسرحهم «(٦)

أما العنوان الثاني فعن صاحب صحيح مسلم

اسمه الإمام حجة الاسلام الحافظ الحجة الثبت ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، وقشير قبيلة من العرب ، ونيسابور مدينة عظيمة بخراسان .

قال ابن الاثير : تولد صاحب صحيح مسلم عام ٢٠٦ هـ وتوفى فى عام ٢٦١ هـ مساء يوم الاحد من شهر رجب ودفن يوم الاثنين رحمه الله تعالى وغفر له وارضاه ، وفى فراديس الجنان أسكنه وآواه .

وعلى هذا الحساب تكون مدة عمره وطول حياته خمسا وخمسين سنة ، ومعلوم ان هذا العمر ليس عمرا طويلا ولكن هذا الكتاب الجليل « صحيح مسلم » ماعدا اربعة عشر كتابا صنفها ذلك الامام قبله آثار باقية له حصلت له بها حياة ابدية دائمة على صفحات التاريخ العلمى ، وبالنظر الى مثل تلك الآثار الجليلة والباقيات الصالحات لاموت امثال هذا العالم المحدث الكبير ، بل يكونون مصاديق قوله تبارك وتعالى « احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » ويكون كل واحد منهم فى مدة حياته البرزخية ضيفا على الله تعالى فى قبره ، ويكون علمهم بالقرآن والحديث وتعلقهم مع الله والمحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمة حديثه الذى هو اصل ثان من اصول الشرع الاربعة ، اسباب حياتهم السرمدية ، ونعم ما قيل فى الفارسية (٧)

هرگز نمیرد آنکه دلش زنده شد به عشق

ثبت است بر جریده عالم دوام ما

قال عمرو بن الصلاح فى قصة وفات الامام مسلم على ما ذكر صاحب فتح الملهم (٨) انها وقعت تحت سانحة غريبة ، كان امرها ان علماء الحديث

وفضلاء عقدوا حفلة للمذاكرة فى الاحاديث يريدون بها اكرام الامام مسلم رحمه الله عنه واحترامه ودعوه ليشترك فيها ، ولما انعقدت الحفلة وجرى البحث عن الاحاديث وسأله أحد شركاء الحفلة عن حديث من الاحاديث ، وكان الامام مسلم لا يحفظ حين ذاك ذلك الحديث عن ظهر قلبه . فاعتذر بان الحديث لا يحضرنى فى هذا الوقت ، وسوف اراه فى كراساتى ان شاء الله تعالى ولما رجع الى منزله وفرغ من العشاء وصلوة العشاء جلس يفتش فى كراساته الحديثية عن الحديث المسئول عنه ، ووضعت سلة التمر بين يديه للاكل كما كانت عادته من اكل تمرات قبل النوم ، فطفق يأكل ثمرة ثمرة ويفتش الحديث المطلوب وبعد مرور وقت طويل ، وجد الحديث ولكن لم يشعر أنه اكثر من اكل التمر لذلك الشغف العلمى والانهماك فى المطالعة والبحث عن الحديث المطلوب ، ففسد بذلك بطنه واختل نظام هضمه ووقعت وفاته من أجل تلك العارضة والاختلال نظرا الى ظاهر الحال .

وقد كان الامام مسلم رحمه الله عليه بدأ فى تحصيل علم الحديث فى السنة السابعة عشرة من عمره ، وتلمذ على كبار المحدثين ومشيخة الروايات والاخبار والآثار فى عصره ، مثل الامام أحمد بن حنبل وغيره من المشائخ الكبار ، وبعد أن أصبح اماما فى الحديث وحافظا حجة ثبتا فيه تلمذ عليه جم غفير من المحدثين ، منهم الامام محمد بن عيسى الترمذى وقد اتفق انه اخذ عنه حديثا واحدا .

وقال النووى روى عنه جماعات من كبار ائمة عصره وحفاظه ومنهم رجال فى درجته كابى حاتم الرازى وموسى بن هارون واحمد بن سلمة وابو عيسى الترمذى وابو بكر بن خزيمة ويحى بن صاعد وابوعوانة الاسفرائينى وآخرون لا يحصون ، وذكر الشاه عبدالعزيز المحدث الدهلوى رحمه الله تعالى (٩) فى كتابه بستان المحدثين ان من عجب حال الامام مسلم رحمه الله عنه انه ما اغتاب احدا ولا ضرب احدا ولا سب احدا طول حياته

اقول وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

قال ابو قريش الحافظ : حفاظ الدنيا أربعة ، فذكر منهم مسلما ، قال ابو اسحاق الكوسج لمسلم : لن نعدم الخير ما ابقاك الله للمسلمين ، وقال صاحب فتح الملهم : أول من صنف في الصحيح المجرد الامام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى الجعفى وتلاه الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى القريشى وكان مسلم ممن اخذ عن البخارى وهو مع ذلك يشاركه فى اكثر شيوخه ، وكتاباهما اصح كتب الحديث ، وبالنظر الى تلك الصحة والقوة فى سرد الاحاديث وضبطها وتدوينها متنا و سندا معنى ولفظا سمعا من الشيوخ وحفظا لم ينتقد المحدثون الاعلى مأتين وعشرة احاديث من صحيحى البخارى ومسلم ، وانفرد صحيح مسلم منها بثمانية وتسعين حديثا ، وانفرد البخارى منها بثمانين حديثا ، واشتركا فى اثنين وثلاثين حديثا . (١٠) ومعلوم أن الامام مسلم والامام البخارى اشترطا لتخريج الاحاديث فى صحيحيهما شروطا يتيقن بعد وجودها على صحة كل حديث مروى فى كل واحد من ذينك الصحيحين ، الا انهما اختلفا فى ما بينهما فى اشتراط اللقاء بين راوى الحديث وشيخه المروى عنه ، فمسلم يكتفى بالمعاصرة بينهما ، والبخارى لا يكتفى بمجرد المعاصرة بين التلميذ والشيخ بل يقول ان ثبوت لقاءهما ضرورى لصحة الحديث ولومرة واحدة فى العمر كله .

قال الحافظ ابن حجر والزم مسلم على البخارى بانه يحتاج الا يقبل العنعنة اصلا وما الزمه ليس بلازم لان الراوى اذا ثبت له اللقاء مرة لا يجرى فى روايته احتمال ان لا يكون قد سمع منه لانه يلزم من جريانه ان يكون مدلسا ، والمسئلة مفروضة فى غير المدلس . (١١)

اقول والعنعنة عبارة عن الرواية بكلمة « عن » كما يقول الراوى : « حدثنى فلان عن فلان عن فلان . » وما أحسن ما قاله ابن دريد فى

هذه العننة :

روت لى العباغنى حديثا معننا
عن الوجد عن كرب عن الشوق عن قلب

- وكذا نقله الشيخ فيض الحسن الكجراتى فى شرحه لخلاصة الكيدانى :

من زار بابك لم تبرح جوارحه
تروى احاديث ما اوليت من ممن
فالعين عن قره والكف عن صلة
والقلب عن جابر والسمع عن حسن

وخلاصة الامر أن صحيحى مسلم والبخارى ودرجتها فى الصحة والقوة
بعد القرآن الحكيم ، وان كانت درجة صحيح مسلم بعد درجة صحيح
البخارى عند جمهور علماء الحديث ، مع أن بعض المحدثين رجحوا صحيح
مسلم على صحيح البخارى ، كما نقله العلامة الحافظ ابن حجر العسقلانى
شارح البخارى عن بعض علماء المغرب .

ونقل ابن مندة عن ابى على النيسابورى انه قال : ماتحت أديم السماء

اصح من صحيح مسلم ، ومثل هذه العبارة تدل عرفا على أرجحية صحيح
مسلم على صحيح البخارى وان لم تكن نضا فى ذلك المقصد .

وذكر صاحب فتح الملهم بعض وجوه تفضيل صحيح مسلم على صحيح
البخارى فقال : ضمن ذلك كونه اسهل تناولا من حيث أنه جعل لكل حديث
موضوعا واحدا يليق به ، وجمع فيه طرقا واورد اسانيده المتعدد والفاظه
المختلفة ، فصار استخراج الحديث منه ومعرفة طرقه المختلفة سهلا بخلاف
صحيح البخارى . وقال : ومن ذلك ترتيبه على نسق يشعر بكمال معرفته بدقائق
هذا العلم ووقفه على اسراره ومن ذلك اغناءه فى ايراد الطرق وتحويل الاسانيد
بايجاز العبارة وحسن البيان .

وقال ابن حجر فى التهذيب : حصل لمسلم فى كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لاحد مثله ، بحيث ان بعض الناس كان يفضله على صحيح محمد بن اسماعيل ، وذلك لما اختص به من جمع الطرق ووجوه البيان والمحافظة على اداء الالفاظ كما هى من غير تقطيع ولا رواية بمعنى ، وقد نسج على منواله خلق كثير من النيسابوريين فلم يبلغوا شأوه .
والغرض أن درجة صحيح مسلم رفيعة منيعة على اى حال سواء كانت مساوية لدرجة صحيح البخارى او اقل منها ، ولنعم ما قاله البعض فى المحاكمة :

تنازع قوم فى البخارى ومسلم
لدى فقالوا اى هذين يقدم
فقلت لقد فاق البخارى صحة
كما فاق فى حسن الصناعة مسلم

ولا بد هنا من تنبيه هام ، وهو أن اسم الجامع فى اصطلاح المحدثين لا يطلق على صحيح مسلم كما يطلق على صحيح البخارى وجامع الترمذى وغيرهما من كتب الحديث الجوامع ، وذلك لان الجامع فى اصطلاحهم هو الكتاب الذى فيه القدر المعتبر من الاحاديث فى كل عنوان من العنوانات الثمانية التالية ، وهى .

١ - عقائد

٢ - احكام

٣ - آداب

٤ - سير

٥ - تفسير

٦ - مناقب

٧ - اشراط

٨ - فتن .

فبالنظر الى هذا الاصطلاح ليس صحيح مسلم جامعاً ، لان الاحاديث المروية المتعلقة بتفسير القرآن الكريم في صحيح مسلم قليلة جدا لاتفى بالقدر المعتد به ، فلا يطلق عليه لفظ الجامع حسب الاصطلاح المعروف في فن الحديث .

نعم قد اطلق عليه صاحب القاموس امام اللغة مجد الدين الفيروز آبادى فى قصة روايته وضبطه علم الحديث وخاصة لالقاء سماعه صحيح مسلم على الامام ناصر الدين ابن جهيل فقال :

قرأت بعون الله جامع مسلم
 بجوف دمشق الشام جوف الاسلام
 على ناصر الدين الامام ابن جهيل
 بحضرة حفاظ مشاهير اعلام
 وتم بتوفيق الاله وفضله
 قراءة ضبط فى ثلثة أيام

وهذا الاطلاق من ذلك الامام وان كان صحيحا لغة ولكن يخالف ما اصطلاح

عليه المحدثون ولامناقشة فى الاصطلاح .

أما العنوان الثالث فعن فتح الملهم

ان هذا كتاب قام بتأليفه المحدث الكبير العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني الديوبندي رحمة الله عليه ، والكتاب وان كان قد صنف فى الماضى القريب ، وتحمل تكاليف طبعه ونشره صاحب السمو الملكى النواب عثمان على خان ملك المملكة الآصفية حيدرآباد دكن الهند ، وقد طبع الكتاب بصرف مال كثير ورونق وبهاء يناسب ذلك الكتاب الجليل ، لكن شرح صحيح مسلم هذا مع حداثة سنه قد اغنى العلماء عن شروح الحديث القديمة ، واشتمل على تحقيقاتها وخلاصة مهماتها ، ولذلك حصل له

مقام رفيع وقبول هام وصيت عظيم بين علماء الحديث وطلابه ، بل فى أهل العلم كافة كيفما كانوا وأين ماكانوا ، وذلك لان الكتاب يجمع اشتات العلوم وافلاذها - وانا اکتفى فى هذه المقالة من بيان حال هذا الشرح العظيم والسفر الكبير بالافتباسات التالية الثلاثة على سبيل الانموذج وبيان ميزته بين سائر شروح الحديث والاسفار العلمية ، وهذا اكتفاء منى بقليل قبس من شهب اضواءه وانواره ، وقدر أقل مما تظهر به حال محتوياته ، واعتذر فى هذا بما قاله الشاعر فى الفارسية .

همی شرمسارم که پائے ملخ را سوئے بارگاه سلیمان فرستم
 وخلاصة الامر ان كتاب فتح الملهم بشرح صحيح مسلم كانه بحرلا ساحل
 له وانه :

لا يدرك الواصف المطرى خصائصه وان يكن سابقا فى كل ماوصفا
 وشروح الحديث وان كانت كثيرة ، وفى كل عصر كتب علماء الامة
 المحذون الكبار شروحا كثيرة جليلة فى هذا الفن الشريف ، ولكن شأن
 فتح الملهم من بين تلك الشروح وطريق بحثه وفحصه وبلوغه الى اقاصى كل
 مايتعلق بالحديث المبحوث عنه من شرح الحديث وايضاح مبناه ومعناه ،
 سنداه ، ومتناه ، ورواية ودراية ، حرجا وتعد يلا ، وفى كل جهة من جهات البيان
 هو الغالب والفائق على الشروح القديمة والحديثة للحديث ، وكأنه كما قال
 الشاعر الاردوى المعروف اسد الله خان غالب معتزا بنفسه :

هين اور بهى دنيا مين سخنور بہت اچھے
 کہتے ہیں کہ غالب کا ہے انداز بیان اور
 واقول ايضا مانقله صاحب البدائع العلامة الكاسانى

وانى وان اكرت فيه مدانحى فاكثر مما قلت ما انا تارك .

وقد طبع من هذا الكتاب الجليل ثلث مجلدات من اول الكتاب الى كتاب
 الرضاع ، ولم يقدر للمؤلف الجليل أن يكمل تأليفه ولا طبعه ، ولكن هذا القدر

فى مهمات المباحث من الكتاب لكاف وشاف والقليل منه ليس بقليل .

قليل منك يكفينى ولكن قليلك لا يقال له قليل

والجلد الاول اكثره مقدمة الكتاب فى مائة وثمانية صفحات ، وهى
كانها كتاب مستقل عظيم يشتمل على جميع مايتعلق بعلم الحديث من
القواعد والضوابط والاصول الموضوعة المقررة من قبل اهل الفن ،
والمباحث الاساسية الفنية والتفصيلات والتشريحات وبيان مذاهب الفقهاء
ودلائل كل منها من الكتاب والسنة وآثار الصحابة وافكار فقهاء الامة ، ولم
يكمل تصنيف باقى الكتاب حتى انتقل الى جوار رحمة الله تبارك وتعالى
فى هذه المدينة مدينة بهاولفور قريبا من هذه الجامعة -الجامعة الاسلامية بهاولبور
فى كلزار محل حين ماكان المغفور له ضيفا نازلا همنا بدعوة النواب سر محمد
صادق خان العباسى آخر امير ولاية بهاولبور ، وكان وفات صاحب فتح
الملهم حدث فى بهاولبور ثم نقل جثمانه الى كراتشى ، ودفن بها ، وقبر
السيد سليمان الندوى رحمه الله وقبره مجاوران ، فهذا قران السعدين بعد
الوفات .

الاقتباسات الثلاثة كمايلى :

الاقتباس الأول

قال صاحب فتح الملهم فى اول مقدمة الكتاب : ان علماء الحديث
جعلوا لفظ الحديث ضد القديم ، وكانهم قابلوا بهذا اللفظ القرآن الكريم
الذى هو كلام الله القديم ، فهذا حديث لانه كلام الانسان ، وهو حادث ،
وذلك كلام قديم لانه كلام الله تبارك وتعالى ، فكلام الله القرآن الكريم
قديم وكلام البشر الحادث حادث وحديث ، قال ابن حجر : المراد
بالحديث فى عرف الشرع ما يضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم وكانه اريد
به مقابلة القرآن لانه قديم .

ولكن صاحب فتح الملهم الذى ألهم علم الحديث ووفق لفهم معانيه ومبانيه ومافيه من الحكم والاسرار - قال ان لفظ الحديث عندى مأخوذ من التحديث بالنعمة وكان الحديث النبوى تكميل عمل لما قاله تبارك وتعالى وأما بنعمة ربك فحدث - وهذا متن مقاله :

والذى يظهر لهذا العبد الضعيف ، والله تعالى أعلم ، أن اطلاق لفظ الحديث على ما يضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم مقتبس من قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ، فانه سبحانه وتعالى عدد اولاً فى سورة والضحى - مننه العظيمة على نبيه صلى الله عليه وسلم من ايواه بعد يتمه ، واغناءه بعد عيله ، وهدايته بعد ما وجدته ضالاً ، اى وجده غافلاً عن الشرائع التى لا تستب العقول بدركها ، كما فى قوله تعالى : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، فهداه الى منهاجها فى تضاعيف ما اوحى الله اليه من الكتاب المبين ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، ثم رتب على هذه المنن الثلاثة امورا ثلثة ، اى النهى عن قهر اليتيم ، والنهى عن نهر السائل ، والامر بتحديث النعمة . والاقرب الى الذوق السليم ان هذا الترتيب بطريق اللف والنشر المشوش دون المرتب ، كما زعم بعضهم ، وحاصل المعنى انك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فأواك وهداك واغناك ، فمهما يكن من شئ فلا تنس نعمة الله عليك فى هذه الثلاث ، واقتد بالله تعالى ، فتعطف على اليتيم ، وترحم على السائل فقد ذقت اليتيم والفقر ، واما قوله تعالى : وأما بنعمة ربك فحدث ، فهو فى مقابلة قوله تعالى « ووجدك ضالاً فهدى » اى حق هذه النعمة الجسيمة التى هى الهداية بعد الضلال وكان ليس ماسواها فى جنبها نعمة ليس الا ان تحدث بها عباد الله تعالى وتشيعها فيهم ، وتبين لهم منازل اليهم ، وظاهر ان اقواله وافعاله صلى الله عليه وسلم التى سميها احاديث انما جلها شرح وتبيين لما هداه الله تعالى وتحديث وتنويه لما انعم الله عليه من صنوف الهداية وفنون الارشاد ، والله اعلم .

الاقتباس الثانى

ويشتمل على ما أورده صاحب فتح الملهم فى بيان شرح الحديث الذى أخرجه مسلم « ان الامانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة » .

وهذا الدرس القاه صاحب فتح الملهم فى جمع من طلاب الحديث وغيرهم من الحاضرين فوق سقف دار الحديث العظيمة بدار العلوم ديوبند - وكنت آنذاك من طلبة دار الحديث بديوبند ١٣٥٨ هـ ، وكان صاحب فتح الملهم فى دارالعلوم الاسلامية بقرية دايبيل (مدينة سورت ، بالهند) وكان نازلا بديوبند موطنه الاصلى ، ومولده الجسمانى ، ومنشأه الروحانى العلمى ، فدعاه شركاء دورة الحديث للخطاب والقاء درس يتعلق بشرح الحديث ودرسه ، وكان الموسم موسم الحر الشديد (اظنه من شهر يوليو) وتقرر ان يكون الحفل على سقف القاعة العظيمة لدار الحديث الرفيعة الواسعة المنيعة التى هى بناء عال ممتاز بين ابنية منطقة يوبى الهند حينذاك .

وبعد الحمد والصلوة والقاء الخطبة الماثورة بلهجته الخاصة العلمية الجلييلة تلا الحديث المار ذكره « ان الامانة نزلت - الحديث » .
وقبل الخوض فى لجة الخطاب قال كالتوتئة والتمهيد ان النسبة التى يزداد بها علم الرجل يزداد فيه الاحتياط والحذر عن الغلط فى مايقوله ، وذلك لان العلم الصحيح باعث على خشية الله تبارك وتعالى ، وانما يخشى الله من عباده العلماء .

وقال ما للانسان وللعلم ، كما قاله ابن الجوزى رحمه الله :

العلم للرحمن جل جلاله
وسواه فى جهلاته يتغمغم

ما للتراب مع العلوم وانما
يسعى ليعلم انه لايعلم

وأضاف قائلا ان الايمان نازل و داخل فى فطرة الكافر وطينته ايضا ، كما يدل عليه هذا الحديث وغيره من النصوص الكثيرة ، ولكنه محروم عن علم الكتاب والسنة ، وهذا أمر واضح ، نطق به وأشار اليه ودل عليه القرآن والحديث قال البيضاوى فى تفسير قوله تبارك وتعالى : « الذين اشتروا الضلالة بالهدى » : ان الهداية كانت مركوزة ومجبولة فى جبلة الكافر الانسانية ، ولكنه اختار الضلالة كأنها مبيع بدل الهداية الفطرية التى هى كالشمس التى كانت معه ، وكان مجبولا عليها لان البيع بيع المقايضة ، فبالنظر الى ذلك الايمان الفطرى الجبلى عند كل انسان من المسلم والكافر جعل المعتزلة العقل الانسانى بمنزلة الرسول فى قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

قال محب الله البهارى (١٢) : وأولوه ايضا بالعقل ، فانه ايضا رسول باطن يلزم عليه الايمان بمقتضى عقله الانسانى والا فيعذب بتركه لان عقله حجة عليه تامة قائمة ببعث الله تبارك وتعالى رسول العقل فيه ، وقد ترجم الشاعر هذا المعنى فى الاردى فقال :

هم ايسر اهل نظر كو ثبوت حق كح لئ
اگر رسول نه هوتا تو عقل كافى تهى

أقول : وبعد ذلك شرح حديث الامانة وألقى خطابا خاض به ليجج التحقيق العلمى العظيم تحير منه الطلبة والعلماء السامعون ، فكان كأن الامام مسلم جالس على الكرسي ويدرنا حديث الامانة ويلقى علينا مايتعلق به من الشرح والبيان بدل ما كتبه هو بنفسه فى فتح الملهم ، وقال : قلت : فى الامانة اقوال ، ذكرها المفسرون وشراح الحديث ، وعندى أن المراد بالامانة ان شاء الله تعالى مايصح به تكليف الانسان بالايمان والايمانيات ، وهى الصلاحية الفطرية التى بها يستعد العبد لقبول الطاعات والاجترار عن المعاصى ، وهذه الامانة المودعة

فى قلب بنى آدم بالنسبة الى الايمان الشرعى بمنزلة تخوم الزروع وحبوب الاشجار المودعة فى بطن الارض ، واما القرآن والسنة فمثلهما كمثل الغيث النازل من السماء ، فالارض الطيبة اذا اصابها هذا الغيث يخرج نباتها باذن ربها ، والتي خبت لا يخرج الانكدا ، بل ربما تضيع التخم أيضا . (١٣) .

الاقتباس الثالث

وهو ما قال صاحب فتح الملهم فى حديث بدء الوحي تحت قوله عليه السلام « ففطنى » ان لفظ الغط اوضح تمثيل لماحصل من التماس بين الملك جبريل عليه السلام والجسد الاطهر من النبى صلى الله عليه وسلم وذلك مثل سريان اثر الكهرباء فى بدن الانسان ، فيقول (١٤) :

« ويمكن ان يكون بغط الملك وعصره الشديد مدخل فى تخفيف ماثقل وتسهيل ما صعب عليه صلى الله عليه وسلم حمليه بتأثير معنوى لانعلم كنهه . وقد اتفق لى فى المستشفى الكبير فى حيدرآباد دكن ان مدير الكهر بائية قد ادخل فى بدنى قدرا كبيرا من الكهرباء ، وامر رفيقى ان يمس شيئا من بدنى بيده بلىن ورفق ، فمديده الى يدى ، ومس اصبعى ، فاذا نحن قد رأينا كان لها با خرج من اصبعى الى اصبعه واحس كل منا المة كالحرقة ، فقبض رفيقى يده ، ثم امره المدير ان يبطش يدى دفعة بشدة وضغط ، ففعل فلم اجدأنا ولا هو شيئا من اثر الكهرباء والمه . وقال المدير ان بعض الكهرباء قد دخل حينئذ من بدنك الى بدنه ، ثم أمر شخصا آخر ان يمس يد رفيقى بيده بلىن ورفق ، ورفيقى آخذ بيدي بقوة وشدة فحصل بينه وبين رفيقى من الكيفية التى قدكنا وجدناها بينى وبينه ، ثم امره ان يأخذه اخذا عنيفا . فزال تلك الكيفية فعجبنا وعجب الناظرون ، ولكنى قد تنبتهت اذ ذاك بهذه المسئلة التى دار الكلام فيها الآن ، أى غط جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم مرارا وبلوغ الجهد منه صلى الله عليه وسلم ، فانه لا يتبعد ان يكون لهذا الغط الشديد ايضا دخل فى تسهيل ماشق

عليه صلى الله عليه وسلم من تحمله الوحي القرآنى وتلقى القول الثقيل من الملك وتيسير ما كان يمتنع منه قراءة ما أمر بقراءته . والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب . .

ثناء العلماء على فتح الملهم

ومما أريد أن أضيف الى هذه المقالة فهو بعض ماقاله بعض العلماء الاجلاء فى شان فتح الملهم بشرح صحيح مسلم فى صورة

تقاريفهم عليه

فمنها ماقاله المحدث الكبير الامام العلامة محمد انور شاه الكشميرى حيث يقول فى الفارسية ما ترجمته بالعربية .

ان علامة العصر شبير أحمد العثمانى الذى هو محدث ومفسر ومتكلم قد توجه الى هذه الخدمة يعنى شرح صحيح مسلم فصنف هذا الكتاب الجليل الذى ما كان يقدر على تصنيف مثله احد حسب ما اعلم . وقد كتب من الكتاب حصة معتدة بها ، وهذا الشرح لانظير له بالنظر الى خصوصياته ومزاياه ، والمتقدمون من اكابر شراح الحديث النبوية على صاحبها الوف التحيه ما كانوا يستطيعون تصنيف مثل هذا الشرح ، (وبعد ذلك عدد بعض خصائص الكتاب فقال :)

(١) قد شرح مشكلات الاحاديث الواردة فى بيان ذات الله تبارك وتعالى وصفاته الفعلية وغيرها من الحقائق الغامضة التى تعسر فهمها على الافهام .

(٢) قد نقل عمدة اقوال العلماء الكرام ونخبها فى كل مادة وموضوع .

(٣) أفهم الغوامض بامثلة ونظائر تناسب ذلك المقام حق المناسبة .

- (٤) نقل مذاهب ائمة الدين من الكتب المعتبرة فى المذاهب الاربعة .
- (٥) خدم المذهب الحنفى فى كل مسئلة مختلف فيها بغاية الانصاف والاحتياط .
- (٦) نقل فى كل باب نكات الصوفية الكرام والعرفاء العظام واسرارهم من فتوحات الشيخ الاكبر وحجة الله البالغة وغيرهما .
- (٧) رفع شبهات أصحاب التعاليم الجديدة الذين اضعوا اطمئنان قلوبهم بتقليد اوربا .
- (٨) جمع الاحاديث المتعلقة بالباب من الكتب المختلفة فى مقام واحد بقدر الامكان .
- (٩) جمع ووفق بين الاحاديث المتعارضة فى ما بينهما ظاهرا وبذل الجهد فى ذلك .
- (١٠) راجع النقول الى الاصول وفعل كل مايناسب فى هذه الخدمة الخطيرة .
- وأما صاحب التقريظ الثانى فهو العلامة محمد زاهد الكوثرى نزيل القاهرة الذى قال بعد ماذهب بنسخة من فتح الملهم بشرح صحيح مسلم الى منزله بالقاهرة الرسولان من جانب صاحب فتح الملهم احدهما العلامة محمد يوسف البنورى والثانى سيد أحمد رضا البجنورى تلميذا صاحب فتح الملهم وطالبعها العلامة الكوثرى ، وكتب بعد ذلك الى صاحب فتح الملهم مكتوبا طويلا ، نصه كمايلى :
- الى حضرة العلامة المحدث الناقد الفقيه البارع العالم الربانى فخر المذهب النعمانى مولانا الشيخ شبير أحمد العثمانى اطال الله بقاءه فى صحة وعافية ، ووفقه لكل خير ونفع بعلومه المسلمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فقد كان من حسن حظي أن أتعرف الى الأستاذين الجليلين المنتدبين من قبل المجلس العلمي المؤقر لطبع كتب خاصة بمصر القاهرة ، فانشرح صدرى جدا مما علمت من حضراتها من احوال اخواننا فى الهند فى سبيل احياء معالم العلم بما يرضى الله ورسوله ، وكنا نعلم شيئا من ذلك قبل ، ولكن أين ما كنا نعلمه مما استفدنا من حضراتهما فى هذا الصدد ، وبالامس شرفا منزلى وقدمنا الى فتح الملهم فى شرح صحيح مسلم من مؤلفاتكم الزاخرة ، فعظم سرورى وابتهاجى بذلك جدا ، وكلمنا درسته ازددت اعجابا بالكتاب - فانتم يا مولانا فخر الحنفية فى هذا العصر حقا ، ابديتم بشرح صحيح مسلم هذا عن علم غزير وفضل فياض فى هدؤ تام وسكينة كاملة فى كل أخذ ورد ، كما هو شان ارباب القلوب من السلف الصالح . فأشكركم باسم العلم على عملكم النافع هذا ، كما اشكركم عظيم شكر على هديتكم القيمة هذه . وادعو الله سبحانه ان يؤفقمكم لامثال امثاله من التأليفات النافعة فى خير وعافية ، فالواجب على هذا العاجز ان يرتع فى حياضه ويعكف على دراسته بقدر مايسمح له صحته ليكون ذلك ذخرا لآخرتى وتنويرا لقلبى ، ونظرة عجلى فى الكتاب أظهرت لى عن كنز ثمين ، وكم كان سرورى عظيما من تلك المقدمة النفيسة فى مصطلح الحديث فى شرح مقدمة صحيح مسلم ، فانها معالم اره مسطرا فى موضع واحد بهذا الجمع وهذا التحقيق ، وطريقتكم البديعة فى شرح الكتاب مما يخضع لبالغ استقامتها كبار اهل العلم سلفا وخلفا فماذا يكون قول مثلى من المستطفلين على العلم سوى الاكبار والاجلال .

اطال الله بقاءكم فى عافية كاملة وصحة تامة ، ونفع بعلمكم المسلمين - وفى الختام أرجو مولانا الدعاء لى بحسن الخاتمة . فى ٩ جمادى الثانية

سنة ١٣٥٧ هـ

من الداعى المخلص محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

خادم العلم بدار الخلافة العثمانية سابقا

المقيم بالمنزل ٨ بشارع العباسية بمصر

القاهرة .

ثم نشر حضرة العلامة الكوثرى فى مجلة الاسلام المصرية بيانا طويلا
يتعلق فيه بفتح الملهم مايلى :

... وها نحن اولاء قد ظفرنا بضالتنا المنشودة بيروز فتح الملهم فى شرح
صحيح مسلم بثوبه القشيب وحلله المتملحة فى عداد المطبوعات الهندية ،
وقد صدر الى الآن مجلدان ضخمان ، خمسة وثلاثون سطرا ، ولو كان
الكتاب طبع بمصر لكان كل مجلد منه مجلدين بالقطع الكبير ، وتمام الكتاب
فى خمس مجلدات هكذا ، وقد واغتبطنا جد الاغتباط بهذا الشرح الضخم
الفخيم صورة ومعنى حيث قد شفى وكفى من كل ناحية ، وقد ملأ بالمعنى
الصحيح ذلك الفراغ الذى كنا أشرنا اليه ، فيجد الباحث مقدمة كبيرة فى
أوله مجمع شتات علم اصول الحديث بتحقيق باهر يصل آراء المحدثين
النقلة فى هذا الصدر بما قرره علماء اصول الفقه على اختلاف المذاهب غير
مقتصر على فريق دون فريق .

فهذه المقدمة البديعة تكفى المطالع مئونة البحث فى مصادر لانهاية
لها ، وبعد المقدمة البالغة مائة صفحة يلقي الباحث شرح مقدمة صحيح
مسلم شرحا ينشرح له صدر الفاحص حيث لم يدع الشارح الجهبذ موضع
اشكال منها اصلا ، بل ابان مالها وما عليها بكل انصاف ، ثم شرح الاحاديث
فى الابواب بغاية من الاتزان ، فلم يترك بحثا فقهيها من غير تمحيصه
بل سردأدلة المذاهب فى المسائل ، وقارن بينها ، وقوى القوى ، ووهن الواهى
بكل نصفة ، وكذلك لم يهمل الشارح المفضال امرا يتعلق بالحديث فى

الابواب كلها ، بل وفاه حقه من التحقيق والتوضيح فاستوفى ضبط الاسماء وشرح الغريب والكلام على الرجال وتحقيق مواضع اورد عليها بعض ائمة هذا الشأن وجوها من النقد من حيث الصناعة غير مستسيخ اتخاذ قول من قال كل من اخرج له الشيخان فقد قفز القنطرة ذريعة للتقليد الاعمى ، وكم رد في شرحه هذا على صنوف اهل الزيف ، وله نزاهة بالغة في ردوده على المخالفين من اهل الفقه والحديث ، وكم اثار من ثنايا الاحاديث المشروحة فوائد شاردة وحقائق عالية لا ينتبه اليها الا اذاذ الرجال وارباب القلوب ، ولا عجب ان يكون هذا الشرح كما وصفناه عند المطالع المنصف ومولفه ذلك الجهد الحجة الجامع لأشتات العلوم محقق العصر المفسر المحدث الفقيه البارع النقاد الغواص مولانا شبير أحمد العثماني شيخ الحديث بالجامعة الاسلامية في دابهيل ، سورت (بالهند) ومدير دار العلوم الديوبنديه (ازهر الاقطار الهندية) وصاحب المؤلفات المشهورة في علوم القرآن والحديث والفقه والرد على المخالفين ، اطال الله بقاه في خير وعافية ، ووفقه لاتمام طبع هذا الشرح الثمين ، ولتأليف كثير من امثاله مما فيه سعادة الدارين ، ونفع بعلومه المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، انه قريب مجيب .

محمد زاهد الكوثري

والبحث الرابع

وهو ذكر نبذة من حياة صاحب فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ان جامع هذا الشرح العظيم ومؤلفه هو العلامة الشيخ المحدث المفسر المتكلم الحاوي على معقولات العلوم ومنقولاتها واصول الشرع وفروعها ومبادئها وآلاتها العلامة شبير أحمد العثماني ، أحد قادة حركة استقلال باكستان وشيخ الاسلام فيها بعد تأسيسها -

ولد في قرية (ديوبند) مدينة صغيرة من مدن منطقة يوبى بالهند ، التي فيها مدرسة علمية دينية عظيمة وجامعة اسلامية كبيرة تسمى بدار العلوم ديوبند والتي تخرج منها صاحب فتح الملهم وغيره من كبار العلماء الذين كثرهم الله تعالى لاعلاء كلمته وترويج دينه واشاعة العلوم .

ويوم ولادته يوم العاشوراء من شهر محرم الحرام سنة خمس وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها آلاف التحية ، وتوفى بتاريخ ٢ صفر ١٣٦٩ هـ الموافق ١٢ من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٩ م الميلادية قال استاذنا المغفور له الشيخ المفتي محمد شفيق (١٥) أن مولانا شبير أحمد العثماني لما ألف كتابه فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ذهب بمسودة الكتاب الى الحرمين الشريفين وجلس في الحرم المكي عند الملتزم ، وكذا في المسجد النبوي عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ووضع نسخة الكتاب المخطوطة على رأسه وقلب اوراقه ودعا الله تبارك وتعالى وقال - يا الهى ألفت هذا الكتاب ولست أستطيع طبعه واشاعته كما ينبغي ، فتقبل مني هذا العمل ويسر امر طبعه واشاعته بصرف المال من اى سبيل فى علمك ولما رجع من الحجاز دعاه النواب عثمان على خان امير ولاية حيدر آباد دكن لزيارته وللتشرف بلقاءه ، ولما لقيه وذاكر معه حسب ماكان يريد الامير جرى ذكر طبع الكتاب و أراه نسخته المخطوطة فقال الامير رحمه الله نحن نطبع هذا الكتاب باحسن طبع ان شاء الله بصرف المال من الخزانة العامرة لامارة حيدر آباد دكن ، وفعل كما قال ، وطبع الكتاب ونشره ، جزاه الله خير الجزاء على هذه الخدمة الدينية العظيمة وغيرها من خدمات الدين وعلى حبه للعلماء الصالحين وعنايته بالمعاهد العلمية الدينية داخل الهند وخارجها ، وخاصة فى الحرمين الشريفين ودار العلوم ديوبند لانه كان ينفق اموالا كثيرة فى سبيل الخير بالعموم وفى المواقع المار ذكرها الآن بالخصوص . وكانت للعلامة العثماني مواقف حاسمة ظهرت فيها جرأته

على القول الحق واظهار كلمة الله أمام أمير حيدر آباد -

ذلكم هو العلامة الجليل شبير أحمد عثمانى ، مؤلف كتاب فتح الملهم فى شرح صحيح مسلم ، توفى العلامة العثمانى فى شهر صفر عام ١٣٦٩ هـ الموافق ديسمبر ١٩٤٩ م ، وهو اذ ذاك ابن ثلاث وستين سنة ، و وقعت حادثة وفاته بمدينة بهاولپور حيث دعى للاشراف على اصلاح مناهج الجامعة العباسية (الجامعة الاسلامية الآن) فى بهاولپور ، ولكن جاءته المنية وهو مشغول فى خدمة العلوم الاسلامية ، ثم نقل جثمانه الى كراتشى حيث دفن فى رحاب الكلية الاسلامية التى أشرف على تأسيسها و بناءها فى حياته - رحمه الله رحمة واسعة وتغمده فى جنان رحمته وغفرانه .

المراجع

- (١) فتح الملهم ، مجلد اول ، ص ٩٤ ، ٩٩
- (٢) فتح الملهم ، ص ٢
- (٣) حجة الله البالغة ، المجلد الاول ، المبحث السادس
- (٤) انظر فتح الملهم ، ج ١ ص ١٠٤
- (٥) حجة الله البالغة ، فتح الملهم ، ج ١ ، ص ١٠٤
- (٦) فتح الملهم ، ج ١ ، ص ١٠٥
- (٧) البيت لعافظ الشيرازى
- (٨) فتح الملهم ، ج ١ ص ١٠١
- (٩) هو أحد ابناء الامام بن عبدالرحيم المعروف بولى الله الدهلوى مؤلف حجة الله البالغة ، وكان الشيخ عبدالعزيز خليفة والده الجليل فى رئاسة المدرسة الرحيمية واسندت اليه كذلك رئاسة العلم والفتوى بعد أبيه ، وله مؤلفات جلييلة فى علوم التفسير والحديث والرد على الفرق الضالة والتصوف ، وجل مؤلفاته بالفارسية ، ولم يترجم له

شئ إلى اللغة العربية . (رئيس التحرير)

- (١٠) نخبة الفكر ، ص ٣٢ ، حاشية رقم ٢
- (١١) مصدر سابق ، ص ٣
- (١٢) محب الله البهاري : مسلم الثبوت ، ص ١٠
- (١٣) فتح الملهم ، ج ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٦
- (١٤) مصدر سابق ، ص ٣٠٩
- (١٥) مجلة البلاغ ، العدد الخاص ، ص ٣٦٤ (جمادى الثانية - رجب - شعبان ، ١٣٩٩ هـ)

